فيصبح بذلك التزام هذه البلدان التزامًا قانونيًّا لا مجرّد كلام وتمنّيات.

- حقّق المؤتمر تقدُّمًا على سابقيه من جهة حقوق المرأة في حياتها الجنسيّة. فلمّا كانوا يعترفون لها في ما مضى بحقوقها مرتبطةً بشؤون الصحّة والإنجاب فقط، أُقِرَّ لها في بيجينغ أن تُحاط حياتها الجنسيّة بالاحترام وأن تتمّ في جوّ من التوافق والمسؤوليّة المشتركة.
- على وجه الإجمال، وقبل كلّ شيء، اعتُرف في بيجينغ بأنّ حقوق المرأة هي جزء لا يتجزّأ من حقوق الإنسان.
- ويبقى أمر إيجابيّ أخير، الأهمّ في نظرنا، وهو أنّ مجرّد اللقاء في مثل مؤتمر بيجينغ، إنّما هو فتح مبين. فاجتماع عشرات الآلاف من النساء، الآتيات من كلّ حدبٍ وصوب، على اختلاف مشاربهنّ وتقاليدهنّ ومستوياتهنّ الاجتماعيّة والثقافيّة، يثبّت أسسَ ثقافةٍ عالميّة شاملة تتمحور حول المرأة. فكلّ احتكاك يُنتج قبسًا من نور، وكلّ تواصُلٍ يصل أقلّه إلى هدف. وحَسْبُ هذه الجمهرة الغفيرة من النساء المناضلات أنّهن قرَعْن النواقيس، إن لم نقل قَرَعْن العِصيّ، وأنّهن أيقظْنَ النيام ونبّهنَ المتقاعسين، وحرّكن المياه الراكدة، ملائكةً شدَّةٍ ورحمة على حدّ سواء، كذاك الملاك الذي كان ينزل في بركة بيت ذاثا بأورشليم، فيَفُور الماء، ويتمّ، لمَن يغطس فيه، الشفاء (يوحنّا ٥: ٢).

بعض المراجع

يضاف إلى ما ورد في الهوامش:

- لوصف الماجريات: *The Tablet*, London, 9/9/1995, p. 1150-1151; 16/9/95, p. 1160-1163; 23/9/95, p. 1220-1221.

- للوثائق الفاتيكانيّة: *La Documentation Catholique*, Paris, 15 octobre 1995, p. 873-888.

السرقات الأدبيّة مستمرّة...!

سبق أن حرَّرنا في المشرق (الجزء الأوّل من السنة ٦٦/ كانون الثاني - حزيران ١٩٩٢، صفحة ٦٧-٧٤) مقالًا ندّدنا فيه بآفة تزوير الكتب في شرقنا، وذكرنا نحو ٢٥ من مؤلَّفات دار المشرق التي سرقها بعض المزوِّرين، وسمَّينا مَن عرفناه منهم علّهم يرعوون ويرتدع مَن قد تسوّل له النفس أن يتشبّه بهم[1]. ومع إقرارنا بأنّ تحسُّنًا طفيفًا قد طرأ، إلّا أنّ يدَ الساطين على ملكنا ما زالت طويلة، فاضطررنا إلى التكشير عن الناب عسانا نُستهاب، ورفعنا ظُلامتنا إلى أعلى المراجع في إيران، وشكونا بعض المزوِّرين في ذلك البلد ممّن لم يتوانوا عن دسّ «كتبهم» المسروقة منّا بين نظيراتها الصحيحة المعروضة في دمشق، وأوقفنا شحنة من المعاجم وصل بها أصحابها حتّى أبواب تونس... وممّا يؤسف له أنّه ما إن ننتهي من صدّ أحدهم حتّى يطلّ في الأفق مَن يحلّ محلّه!

وقد فوجئنا في الأشهر الأخيرة بصدور كتابين في بيروت، عمد صاحباهما إلى تزوير بعض مؤلَّفات دارنا بطريقة مبطّنة، إلّا أنّها لا تخفى على اللبيب. ولمّا كان تزويرها صارخًا يسطو على أجزاء كبيرة من كتبنا، رأينا واجبًا علينا التنبيه إلى ذلك للدفاع عن الحقّ والمساهمة في إشاعة أخلاق علميّة سليمة في أوساط كتّابنا. والكتابان المذكوران هما: أروع ما قيل من الأمثال، «بقلم» إميل ناصيف (بيروت، ١٩٩٤) والديانة المسيحيّة، «بقلم» نهى نجّار (بيروت، ١٩٩٥). وفي ما يلي التعريف بهما.

أ. ك. ح.

---

(١) ولم نكن وحدنا في ميدان الانتفاضة، إذ ثُرت مقالات الذين انبروا ليدافعوا عن حقوق المؤلِّفين، نذكر بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر: «إستنفار لمحاربة مافيا تزوير الكتب»، في جريدة السفير البيروتيّة (٢٨/٥/١٩٩٤)؛ «معركة تزوير الكتاب مشرّعة الأبواب» في الأنوار، بيروت (٥/٧/١٩٩٤)؛ «تزوير الكتب: نقابة الناشرين ومسؤوليّاتها»، السفير (١٤/٤/١٩٩٥).

الديانة المسيحيّة

تأليف نهى نجّار

موسوعة الأديان السماويّة والوضعيّة، ٦، دار الفكر اللبنانيّ، بيروت، ١٩٩٥، ٢٠٦

لن نطيل الكلام على مضمون الكتاب، فالمصنِّفة - ولا نقول المؤلِّفة، لأسباب سوف نبيّنها بعد قليل - سعت جهدها لتبيُّن المعتقد المسيحيّ لمَن يجهله، فوصلت إلى ما أرادت. ولكنّنا سنتوقّف عند المنهج الذي اتّبعته صاحبة هذا المصنَّف لتوليفه. وإنّما قلنا «لتوليفه»، لا «لتأليفه»، لأنّ الكاتبة قلّما ابتكرت هنا وأنشأت، بل راحت تُعمِل مقصَّها في كتب سواها وتلتقط التقف من هنا وهناك فتلصق بعضها ببعض، وتنقل العبارات والاستعارات، لا بل الجمل والمقاطع بالعشرات، وحتّى الصفحات أحيانًا، بحرفها وبدون إرجاعها إلى مصادرها. وهذا لعمري عمل لا يجوز، ولا يليق بمَن يؤلِّف كتابًا يريده مرجعًا محترمًا في موضوع مقدَّس. فإنجاز السيّدة «المصنِّفة» هو، في عرف أهل العلم والتأليف والنشر، عمل انتحال سافرٍ مجحفٍ بالأصحاب الأصليّين. وثمّة بعض التوضيح مدعومًا بالأمثلة:

فوجئنا ونحن نطالع المقدّمة (ص ٧-٩) بأنّ السيّدة نهى نجّار ارتكزت بما يشبه التصوير، على كتابٍ تقلناه إلى العربيّة منذ ستّين ونصف السنة بعنوان مدخل إلى العقيدة المسيحيّة، وقد صدر عن دار المشرق، ومؤلِّفه هو زميلنا الأب توماس ميشال اليسوعيّ. وإلى القارئ نصّ المصنِّفة يقابله ما أخذته من نصّنا، مع أرقام الصفحات:

نصّ نهى نجّار (ص ٧-٩)	نصّ «مدخل إلى العقيدة...»
قيل «بقدر ما نحسن فهم إيمان الآخر، نجيد فهم إيماننا» - وقيل أيضًا «الناس أعداء ما جهلوا» - فهل من سبيل إلى العيش بسلام مع الآخرين. وهل من مجال للتعاطف والتآخي دون المعرفة المتبادلة؟	قال أحدهم: «بقدر ما نحسن فهم إيمان الآخر نجيد فهم إيماننا» (ص ١٠). قيل: «الإنسان عدوّ ما يجهل» (ص ٥) وعليه فلا سبيل إلى العيش بسلام مع الآخرين، ولا مجال لمحبّتهم، بدون معرفتهم (ص ٥).
كُتب لمجتمعات اليوم (...) أن تتعارف لتآلف فتحابب، فيكون لها الازدهار والبقاء.	ومجتمعات اليوم (...) مكتوب لها أن تتعارف لتآلف فتحابب فيكون لها الازدهار والبقاء (ص ٥).

(. . .) لا نحاول في الصفحات الآتية هديّ أحد ولا إقناع أيّ كان بأنّ المسيحيّة هي على حقّ، وأنّ أيّ ديانة أخرى هي على ضلال.

(. . .) بيد أنّه ينبغي الإقرار، منذ البداية بأنّني مسيحيّة مؤمنة، وبالتالي أومن بما يعلّمه المعتقد المسيحيّ، وكلّ إنسان مؤمن حقّ، مسيحيًّا كان أو مسلمًا، يؤمن بأنّ دينه يأتيه الجواب الشامل عن القضايا الهامّة في الحياة البشريّة. من أين جئنا؟ إلى أين نذهب؟ وكيف يجب أن نعيش على وجه الأرض؟

(. . .) وقد صيغت لغة هذا الكتاب بعيدة عن لغة الاختصاص المفرط، قريبةً من متناول القارئ العربيّ، مسلمًا كان أم مسيحيًّا، راجين أن تساهم هذه الأبحاث في تقريب القلوب من باب تقريب الأذهان، وما «الفضل إلّا من عند الله».

لن أحاول في الصفحات الآتية إقناع أيّ كان بأنّ المسيحيّة هي على حقّ وأنّ الإسلام أو أيّ ديانة أخرى هي على ضلال (ص ٨).

بيد أنّه ينبغي الإقرار منذ البداية بأنّني مسيحيّ مؤمن، وبالتالي أومن بما يعلّمه المعتقد المسيحيّ. وكلّ إنسان مؤمن حقّ، مسيحيًّا كان أو مسلمًا، يؤمن بأنّ دينه يأتيه بالجواب الشامل عن القضايا الهامّة في الحياة البشريّة: من أين جئنا، إلى أين نذهب، وكيف يجب أن نعيش في أثناء حياتنا على وجه البسيطة (ص ٨).

وقد صاغ كلامه بحيث جعله بعيدًا عن لغة الاختصاص المفرط، قريبًا من متناول الثقّف المسلم. (. . .) ورجاؤنا وطيد أن تساهم تلك الأحاديث في تقريب القلوب من باب تقريب الأذهان، والله سبحانه من وراء القصد (ص ٦).

تلكم نماذج من «تأليف» السيّدة نهى النجّار، وإنّه في معظمه مأخوذ بحرفه الواحد من مقدّمتنا ومقدّمة الأب ميشال، وإن بُدّل في أسلوبنا شيء، فكلمات طفيفة من باب التمويه أو من باب تطعيم بال صاحبة النّحل. والأمثال على هذا الأسلوب كثيرة في «الكتاب» الذي نحن بصدده.

ولكن ثمّة ما هو أدهى، فبضعة عشر مقطعًا ممّا جمعته الكاتبة، نقلته من الكتاب الذي ترجمناه، بدون أيّ تبديل - وطبعًا بدون أيّ إشارة إلى ما صنعناه أصلًا. ويمكن السيّدة الناحلة التبتّل من ذلك في الصفحات الثالية من مصنّفها: ٢٢ وسط (عن كتابنا ٢٤)، ٣٣ أعلى (عن كتابنا ٣٣ و٣٤)، ١١١ أسفل (عن كتابنا ٨١)، ١١٣-١١٤ (عن كتابنا ٨٥)، ١٤٣ وسط (عن كتابنا ٨٧)، ١٦٧ أعلى ووسط (عن كتابنا ١٠٠)، ١٦٩ أعلى (عن كتابنا ١٠٠)، ١٨٩-١٩٠ (صفحة كاملة منقولة عن كتابنا ص ١٠١-١٠٢). إلخ إلخ

وإن أنقى المُطالع نظرة إلى «معجم الألفاظ» الوارد في الصفحات ١٩٣-١٩٧ من كتاب السيّدة نهى النجّار لأحصى ١٧ تحديدًا من أصل ٤٢ نقلت بحرفها عن «معجم الألفاظ» الوارد في الصفحات ١٥٣-١٥٨ من كتابنا! وقد سبرنا لبعض الدقائق عددًا من الألفاظ الأخرى التي وردت وكأنّها من ابتكار المصنّفة، فإذا بها نُقلت عن كتاب زميلنا الأب صبحي حموي المعنون معجم الإيمان المسيحيّ، و«طبعًا» من دون أيّ إشارة صريحة

إلى هذا المرجع ولا إلى صاحبه.

وقد تدّعي السيّدة نهى النجّار أنّها أوردت في لائحة مراجعها الظاهرة في آخر الكتاب (ص ١٩٩-٢٠٠) عنوان المعجم المذكور. ولكنّنا نجيبها: أوّلًا، ذكرتِ الكتاب بدون ذكر مؤلّفه. ثانيًا، ذكرتِ سائر الكتب على نحوٍ غير علميّ، مشيرةً، في ما عُرِّب منها، وهو كثير، إلى اسم المعرِّب فقط، بمعزل عن اسم المؤلّف. ثالثًا، إنّ ذكر بعض المراجع في آخر الكتاب لا يغني المؤلّف الصادق عن الإشارة في الهوامش إلى مصادر استشهاداته مهما قصرت. فكيف به إنْ نقل عشرات المقاطع والصفحات الكاملة؟ وإن تصرُّف المصنِّفة على هذا النحو في ما يعود إلى كتابنا وكتاب الأب حموي، فلا نستبعد أنّها غرفت من سائر المراجع التي استعملتها بالأسلوب نفسه. والحقّ يقال إنّ هناك محلّين فقط أشارت فيهما إلى مرجعها: في الصفحة ١٥٢ ذكرت كتابًا للمرحوم الأب فريد جبر، وفي الصفحة ٥٢ قالت في الحاشية: «نعود بالفضل وعرفان الجميل في كلامنا عن الأسفار المنحولة إلى الأب الدكتور بولس الفغالي في مقالة له... إلخ». فإذ نهنّئ الأب الفغالي لأنّه ذُكر ولو مرّةً واحدة، نقول للمصنِّفة: «لِمَ لم ترمقنا نحن أيضًا بنظرة عرفان؟ أو أقلّه بنظرة إنصاف؟ فإنّ الحقّ يحرّر» (يو ٨/ ٣٢).

أ. كميل حشيمه

أروع ما قيل من الأمثال

تأليف إميل ناصيف

دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤، ١٦٠ صفحة

يندرج هذا المؤلَّف ضمن سلسلة طويلة من الكتب العربيّة التي خصّصت على مرّ العصور بالأمثال. فتوسّمنا فيه خيرًا راجين أن يحمل إلينا جديدًا، إن لم يكن في المضمون، فأقلّه في النهج المتّبع. ولكنّ النتائج لم تأتِ على قدر الآمال في معظم الصفحات.

لقد جعل صاحب الكتاب مصنَّفه على قسمين: قسم أوّل عرّف بالمَثَل. وفرّق بينه وبين الحكمة، وتكلّم على أهمّيّة الأمثال، وعدّد مصادرها ومراجعها العربيّة.

وقسم ثانٍ أخير جمع أمثالًا من حضارات متنوّعة مختلفة قاربت الاثنتين والخمسين حضارة.

لقد وفّق المؤلِّف في القسم الأوّل من كتابه إلى التمهيد لروائع أمثاله، فعرّف بها بطريقة موجزة علميّة، معدّدًا أنواع العبارات وأشكالها التي تندرج ضمن باب المَثَل. كما أنّه ميّز بين المَثَل والحكمة، فذكر نقاطًا ستًّا كانت ركيزة تمييزه هي: الشيوع، صدق النظرة وصواب المضمون، المحتوى الفكريّ، التشبيه، الأسلوب الموجز، الغاية والهدف. وتوصّل الكاتب إلى نتيجة مفادها: إذا كانت كلُّ حكمةٍ شائعة مَثَلًا، فليس كلُّ مَثَلٍ حكمةً شائعة. وتطرّق صاحب الكتاب إلى أهمّيّة الأمثال من النواحي البلاغيّة، والحضاريّة، والتربويّة، والجماليّة، والوطنيّة، وغيرها. ولا غرو أن يجمع العرب في كتبهم أمثالهم

الفصحى والعاميّة، إذ جاءت المصنّفات كثيرة العدد موزّعة على العصور الإسلاميّة كافّة، ابتداء من (نحو ٣٠هـ/ نحو ٦٥٠م) وصولًا إلى (١٣٠٨هـ/١٨٩١م) - تاريخ آخر مُصنَّف ذكره الكاتب وليس تاريخ تأليف آخر كتاب في الأمثال -. وقد أحصى المؤلّف ستّة وستّين عنوانًا في الأمثال، منها واحد وأربعون عنوانًا لم تصل إلينا، وخمسةٌ وعشرون نُشِرت إلّا أنّ بعضها القليل ما زال مخطوطًا.

أمّا القسم الثاني الذي حمل عنوانه اسم الكتاب أروع ما قيل من أمثال، فتكمن وائعته في العرض الآتي. لقد اتّبع المؤلّف في تعداد الأمثال العالميّة الترتيب المعتمَد نفسه في كتاب روائع الأمثال العالميّة لمؤلّفه ميشال مراد، الصادر عن دار الشرق، العامّ ١٩٨٤. ففي المؤلّف الأخير هذا أدرج المصنّف سبعًا وأربعين طائفة من الأمثال العالميّة ابتداءً بالأمثال الأرمنيّة وانتهاءً بالأمثال اليونانيّة. أمّا في كتاب أروع ما قيل من الأمثال، فقد أدرج إميل ناصيف اثنتين وخمسين مجموعةً من الأمثال العالميّة ابتداءً بالأمثال الأرمنيّة وانتهاءً بالأمثال اليونانيّة، وذلك بزيادة أمثال من الحضارات الخمس التالية: البانتونيّة، البلجيكيّة، السنسكريتيّة، المالغاشيّة، التغريسيّة.

وإذا كان مراد قد خصّص بابًا للأمثال العربيّة، الفصحى منها والعاميّة، تجاوز الستّين صفحة، وبابًا آخر للأمثال الدينيّة: الإسلاميّة والمسيحيّة والهندوسيّة والبوذيّة، تجاوز بدوره الثلاثين الصفحة؛ فإنّ ناصيف لم يتطرّق بأمثاله إلى الدينيّة منها، واكتفى بذكر بعض الأمثال العربيّة مدرجًا إيّاها في ترتيبها بين الأمثال العالميّة.

ولئن ذكر ميشال مراد في كتابه روائع الأمثال العالميّة الصادر قبل أروع ما قيل من الأمثال بعقد من الزمن، أهمّ المراجع التي استعان بها، وهي عشرة باللغة العربيّة وخمسة باللغة الفرنسيّة، إلّا أنّ ناصيف لم يذكر أيّ مصدر أو مرجع في كتابه هذا، لا سيّما أنّه عدّد في القسم الأوّل ستّة وستّين كتابًا من كتب الأمثال العربيّة. أليس من حقّنا أن نسأله من أين استقى أمثاله؟

لقد صُدِّر كلّ فصل من فصول الأمثال في كتاب روائع الأمثال العالميّة بمعلومات مقتضبة عن الدولة أو الحضارة صاحبة الأمثال، تخصّ السكّان، أجناسهم، لغاتهم ولهجاتهم، مساحة الدولة وموقعها والمؤثّرات الأخرى. ورتّبت الأمثال داخل كلّ مجموعة بحسب موضوعاتها التي أُدرِجت بدورها بترتيب ألفبائي ظاهر. أمّا ناصيف في كتابه، فلم يذكر أيّ تمهيد أو تعريف في مقدّمة كلّ مجموعة عالميّة، كما أنّه لم يستعن بأيّ ترتيب في تعداد الأمثال، فجاءت لا يربط بعضها ببعض أيّ رابط، ولا يتقل واحدها إلى الآخر عبر أيّ ترتيب ظاهر. فكأنّي به قد جمعها «من كلّ وادٍ عصًا».

وقد يسأل القارئ، ما الفائدة من إظهار هذه المقارنة، وخاصّة على صعيد الشكل، بين روائع الأمثال العالميّة و أروع ما قيل من الأمثال؟ وما الهدف الذي يرمي إليه كاتب هذه السطور من وراء هذا العرض؟ فإذا كنتُ قد بيّنتُ على مستوى الشكل تأثّر إميل ناصيف بمؤلّف ميشال مراد والسير على منواله، فما ذلك إلّا لأُبيّن الثغرات العديدة والعيب المنهجيّ الفادح في كتاب إميل ناصيف على صعيد المضمون. وثمّة نماذج صريحة واضحة، وضوح الشمس في الظهيرة، وما هي إلّا غيض من فيض، تثبت ذلك.

لقد أدرج ناصيف في فصل الأمثال الأرمنيّة سبعة وعشرين مَثَلًا (٢٧)، من بينها عشرون مَثَلًا منقولة نقلًا حرفيًا عن كتاب روائع الأمثال العالميّة. وذلك على طراز:

«مَن تَمَتَّع بالأخلاقِ الحَسَنَةِ تَحَلَّ بعقدٍ من الدُّرّ». أروع ما قيل من الأمثال.

«مَن تمتَّعَ بالأخلاقِ الحسنة تَحلَّ بعقدٍ من الدرّ». روائع الأمثال العالميّة.

وفي فصل الأمثال الإسبانيّة استشهد ناصيف بسبعة وعشرين مَثَلًا، منها ستّة وعشرون مَثَلًا منقولة نقلًا حرفيًا عن روائع الأمثال العالميّة. وذلك على النحو التالي:

«ينبغي أن نأخذَ السَّهلَ على أنّه صَعْبٌ، والصَّعْبَ على أنّه سَهْلٌ». أروع ما قيل من الأمثال.

«ينبغي أن نأخذَ السّهلَ على أنّه صَعب، والصّعبَ على أنّه سَهل». روائع الأمثال العالميّة.

وفي فصل الأمثال الأفريقيّة استعان ناصيف بسبعة عشر مَثَلًا منقولة نقلًا حرفيًا عن روائع الأمثال العالميّة، على الشكل التالي:

«خِلالَ شيخوختِنا نَتَدَفَّأُ بالحطب الذي جَمَعْناهُ في شبابِنا» أروع ما قيل من الأمثال.

«خلالَ شيخوختنا نتدفّأُ بالحطبِ الذي جمعناهُ في شبابنا» روائع الأمثال العالميّة.

قد نسأل ربمّا القارئ معنا، إن حاولنا أن نورد مَثَلًا واحدًا من كلّ مجموعة منقولًا نقلًا حرفيًا. وكم بالحري إذا كان لدينا سبعٌ وأربعون مجموعة، تتراوح أمثال الواحدة منها بين الخمسة عشر مَثَلًا والثلاثين. لكن، وإذا كان «المكتوب يُقرأ من عنوانه»، فإنّنا قرأنا أيضًا من آخره، فوقعنا على ما وقعنا عليه في البداية وصحّ بذلك القول السابق المأثور. فمن أصل سبعة أمثال في فصل الأمثال الهولنديّة، نُقلت ستّة أمثال نقلًا حرفيًا عن كتاب الروائع. ومن أصل أربعة عشر مَثَلًا في فصل الأمثال اليابانيّة، نقل ناصيف عشرة أمثال نقلًا حرفيًا عن الروائع. وفي باب الأمثال اليوغوسلافيّة، جاء ثلاثة عشر مَثَلًا منقولة نقلًا حرفيًا من أصل ثلاثة عشر، عن كتاب الروائع. وكلّ الأمثال المنقولة هذه نُقلت بالطريقة الحرفيّة نفسها الميِّتة في البدء.

واللافت الغريب أنّ الأمثال المنقولة جاءت بحرفيّتها كما هي في كتاب روائع الأمثال العالميّة، حتّى مع بعض الأخطاء اللغويّة النادرة. وهو أمرٌ يؤيّد زعمنا ويعزّز حججنا، ويصحّ فيه قول المَثَل «أَحَشًّا[٢] وسوءَ كيلةٍ؟!»

وإليك مثالًا: «لَيس من ثويه يُعرف العاقل، بل من أعماله» ورد هو نفسه في الكتابين، فصل الأمثال الأفريقيّة. والصواب: «لا يُعرفُ العاقل من ثويه، بل من أعماله».

وآخر: «خِلالَ شيخوختنا نتدفّأُ بالحطب الذي جمعناه في شبابنا»؛ كما هو في الكتابين، فصل الأمثال الأفريقيّة. وجه الصواب: «في أثناء (في أيّام) شيخوختنا نتدفّأ بالحطب الذي جمعناه في شبابنا».

---

(٢) الحَشّ: أردأ التمر. والأمثال المنقولة ليست من النوع الرديء، بل عمليّة النقل هي الرديئة. ويُطلق المَثَل على وصف مَن يجمع بين خصلتَين رديئتَين.

وثالثًا: «الجبان شخصٌ يفكّر بساقَيه عند الخطر»، هو هو في الكتابين، فصل الأمثال الألمانيّة. وجه الصواب: «الجبان يفكّر في ساقَيه عند الخطر».

يعلم العاملون في الترجمة والمتخصّصون بها، أنّ ثمّة ستّ طرق أو أكثر تصلح لنقل النصّ الأدبيّ من لغة إلى أخرى. وقد تراعي كلّ واحدة من هذه الطرق أو الإمكانات الخصائص الفنّيّة التالية: المضمون، حرفيّة النصّ، التشابيه والصور، التقطيع الشعريّ أو شكل النصّ الطباعيّ، الأصوات الداخليّة والإيقاع أو الجَرْس، وغيرها من الخصائص التي تبدو بارزةً في نصٍّ أكثر منها في غيره، تبعًا لإطاره الخارجيّ العامّ وسياقه في المؤلَّف[٣]. وما يذهلنا أنّ مؤلِّف أروع ما قيل من الأمثال لم يُوفّق في نقله الأمثال من مصادرها ومراجعها إلّا إلى الطريقة نفسها التي وفّق إليها مؤلِّف روائع الأمثال العالميّة رغم تعدّد الإمكانات والطرق، ورغم اختلاف الأذواق الأدبيّة وتمايز الأحاسيس الفنّيّة.

نحار كيف نُنصف إميل ناصيف في مؤلَّفه الجديد هذا، فمعلوم أنّ لا أهمّيّة تُذكر لمؤلَّفٍ جديدٍ إنْ لم يحمل مضمونًا مستحدثًا، أو موضوعًا غير مطروق، أو نصوصًا فريدة من نوعها إلخ... كم كان أنفع وأنسب لو اكتفى ناصيف بنشر القسم الأوّل من كتابه على أعمدة الصفحات الثقافيّة في المجلّات أو الجرائد، لما فيه من نفع وإيجاز وإصابة؟ لكنّه، ما دام قد أصرّ على نشر قسمه الثاني بعد أن اقتبس سواده الأعظم من كتاب مثال مراد، فيا ليته ذكر مصدره، ولو مرّة واحدة، فأنصفه وردّ الفعل إلى فاعله الأصيل، ولكان إذ ذاك وفّر علينا مشقّة الانتقاد.

ريمون حرفوش

حوليّات

فرع الآداب العربيّة في كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة - جامعة القدّيس يوسف
المجلّد السادس - أ -، بيروت، ١٩٩١-١٩٩٢، ٤٨٨ صفحة

إنّه المجلّد الأوّل الذي تصدره إدارة فرع الآداب العربيّة بكلّيّة الآداب في الجامعة اليسوعيّة لتكريم البروفسور الأب جان موريس فِيه الدومنيكيّ. ويصدر لاحقًا مجلّدٌ ثان. فالأب فيه، الذي بلغ الحادية والثمانين من عمره، عالِم عَلَم أمضى نحو نصف قرن في بلادنا العربيّة يخدمها بأبحاثه ونشاطاته التربويّة والثقافيّة المتنوّعة. وكُتُبه ومقالاته التي وضعها في الشؤون الشرقيّة تناهز المائة والأربعين، وبعضها نُقل من أصله الفرنسيّ إلى الفارسيّة والعربيّة، نذكر منها على سبيل المثال: أحوال النصارى في خلافة بني العبّاس[٤]،

(٣) راجع في هذا الصدد: مقالة «مؤلِّف الظلّ على رؤوس أنامله يكتب، يخفر، ينسج، والإمكانات»، للدكتور هنري عويس، النهار: ٩٥/٩/٢٩، ص ١٥، عمود ٤-٦.
(٤) نقله حسني زينه، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠، ٤٢٤ ص.

والكنيسة السريانية الشرقية[٥]، وكتاب حول القدّيسين السريان هو الآن جاهز للطبع. ولا يزال الأب فيه ينشئ الأبحاث، ويشرف على الأطروحات، ويدرّس الحضارة العربية، الإسلامية منها والمسيحية. وقد اعترفت بجهوده وفضله مؤسّسات مختلفة فعُيّن عضوًا في اللجنة البابوية للعلوم التاريخية (١٩٨٢)، ونال جائزة شلُمبرجر من معهد فرنسا Collège de France (١٩٩٤).

والمقالات المدرجة في المجلّد الذي قُدّم إليه، هي في معظمها من تأليف زملائه أو مَن تلمذوا عليه وجلّوا. ولا بأس من إدراج عناوين تلك المقالات لأهمّيّتها:

- «جوانب من تاريخ لدّ العثمانية في القرن العاشر الهجريّ/ السادس عشر الميلاديّ»، بقلم محمّد عدنان البخيت، رئيس جامعة آل البيت في عمّان.
- «نظريّة البنية عند بروكوبيوس القيصريّ: دراسة في منحى (الاقتداء بالقدامى) في الآداب البيزنطيّة»، بقلم الأب روبير يندكتي اليسوعيّ، جامعة القدّيس يوسف.
- «أصل عائلة جبران خليل جبران»، بقلم متري سليم بولس، جامعة القدّيس يوسف.
- «قراءة قوميّة في فكر عبد الرحمٰن الكواكبيّ»، لإبراهيم بيضون، الجامعة اللبنانيّة.
- «مفاهيم الفكر واللغة ودور التربية في إنمائها»، بقلم محمّد الخوالده، جامعة اليرموك.
- «أبو الشمقمق شاعر عصر الفقر (ت ٢٠٠/ ٨١٥)»، لسهيل زكي سليمان.
- «الدبلوماسيّة الألمانيّة ومحاولات إحياء الجامعة الإسلاميّة بين السلطنة العثمانيّة والمغرب الأقصى (١٨٧٠-١٨٩٠م)»، لعبد الرؤوف سنّو، الجامعة اللبنانيّة.
- «أبو محمّد البربهاريّ (٣٢٣/ ٨٤٧-٣٢٩/ ٩٤١) وأثره في حياة عصره العامّة»، بقلم السيّدة هبة شارو - سنّو.
- «نظريّة المعرفة بين الفلسفة وعلم الاجتماع»، بقلم سعدي ضنّاوي، الجامعة اللبنانيّة.
- «مقدّمة في تاريخ الفنّ»، لعبد الرحيم غالب، الجامعة اللبنانيّة.
- «البعد المسيحيّ في الأدب العربيّ الحديث»، لنديم نعيمه، الجامعة الأميركيّة، بيروت.

وفي المجلّد قسم ثانٍ يحتوي على ٢٤ أنموذجًا من الأطاريح التي قُدّمت إلى فرع الدراسات العربيّة في الجامعة اليسوعيّة إبّان السنتين ١٩٩١ و١٩٩٢، وتتوزّع بين شؤون اللغة العربيّة وآدابها، والتاريخ، والفلسفة، والإسلاميّات، والتربية. يضاف إلى ذلك جدول بخرّيجي الدراسات العليا للسنتين المذكورتين مع الموضوعات التي تقدّموا بها والدرجات التي نالوها.

هذا وإنّنا نترقّب صدور المجلّد الثاني واثقين بأنّه سيذخر بالفرائد على غرار المجلّد الذي سبقه[٦].

أ. ك. حشيمه

---

(٥) كتب نقله الأب كميل حشيمه اليسوعيّ، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠، ٥٦ ص.

(٦) كان هذا التعريف قد أُنجز وصُمّم لمّا نُعي إلينا الأب فيه، وقد توفّي يوم ١١/ ١١/ ١٩٩٥. رحمات الله عليه.

Mélanges de l'Université Saint-Joseph (Beyrouth)

Tome LII, 1991-1992, 490 pages

مجموعة أبحاث ودراسات

جامعة القدّيس يوسف، بيروت

المجلّد ٥٢، ١٩٩١-١٩٩٢، ٤٩٠ صفحة

لا شكّ في أنّ قرّاء مجلّة Mélanges العريقة ومحبّيها سيتغاضون عن تأخُّر صدورها في الموعد المألوف، إذا ما اطّلعوا على مضمون مقالاتها. فجميع هذه الأبحاث، وعددها ستّة، لِمّا يهمّ العلماء إلى أبعد الحدود.

المقالة الأولى (ص ١-٧٢) هي من تأليف المستشرقة الرومانيّة السيّدة يُوانا فِيُودُورُوف، بها حقّقت نصًّا من تاريخ أشراف الأفلاخ المدرج في كتاب للبطريرك مكاريوس الزعيم عنوانه مجموع لطيف. وأهمّيّة هذا النصّ مردّها إلى أنّه لم ينشر بالطبع حتّى الآن، وأنّه يثبت الأصل الرومانيّ المفقود الذي اقتُبس منه، وأخيرًا أنّه يشهد بصراحة للعلاقات الثقافيّة التي قامت بين العرب ومكّان رومانيا. ولقد استهلّت المستشرقة دراستها بمقدّمة ضافية ثمّ نشرت النصّ العربيّ ونقلته إلى الفرنسيّة مشفوعًا بالتعاليق والشروحات.

المقالة الثانية (ص ٧٣-١١٩) عُنيت «بالمقابر الدفينة المحاطة بِياجات» الموجودة في قرية دير سنبل بمنطقة جبل الزاوية في شمال سورية. وهي بقلم العالمَين م. غريسهايمر Griesheimer وأ. نقّاش. وهي تركّز على الناحية الأثريّة والهندسيّة، وتشفعها سلسلة من الصور والرسوم المعبّرة التي تبرز ما كانت عليه الأبنية السوريّة من جمال في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس. - والمقالة السادسة (ص ٣٦٩-٤٩٠)، التي ألّفها آ. نقّاش أيضًا ورج. تات Tate، تُعنى أيضًا بقرية دير سنبل في قسمها القديم الذي ترقى آثاره إلى القرن الرابع، والنصّ مشفوع بالكثير من الصور الرائعة والرسوم الدقيقة.

المقال الثالث (ص ١٢١-١٩٦) هو بقلم الأب لويس بُوزيه المختصّ بتاريخ دمشق في العصور الوسطى، وعنوان بحثه «مدارس دمشق وأساتذتها في القرن السابع/ الثالث عشر». ومن المعروف أنّ معاهد التدريس كثرت في الضاحية على نحوٍ عجيب حتّى ناهز عددها، حوالى العام ٧٠٠ هـ، ٩٤ مدرسة!

أمّا المقال الرابع (ص ١٩٧-٢٢٦)، فهو من تأليف الأستاذ جان پول رِي كُوكِيه Rey-Coquais المختصّ بالآثار الرومانيّة واليونانيّة، ويدرس الكتابات الباقية على أبنية «الجبل المحجب»، وهو مرتفع يقع على ضفّة العاصي اليمنى بين أنطاكية وسلوقيه.

والمقالة الخامسة (ص ٢٢٧-٣٦٨) دراسة مستفيضة بقلم الأب سمير خليل سمير اليسوعيّ عنوانها «اللغة العربيّة والمنطق وعلم اللاهوت عند إيليّا النصّيبيني». وفي هذه الدراسة يحقّق الأب سمير نصّ المجلس السادس من المجالس التي جرت بين إيليّا مطران نصّيبين والوزير أبي القاسم الحسين بن عليّ المغربيّ. وموضوع هذا المجلس الدفاع عن

اللغة السريانيّة في وجه العربيّة، وما هذا الدفاع اللغويّ إلّا مطيّة لإبراز دور السريان عامّةً لاسيّما في الحقل الثقافيّ. وتكمن أهمّيّة هذا النصّ في أنّه ينطلق من الحوار اللغويّ ليفضي إلى حوار ثقافيّ ويعالج مسألة العلاقة بين اللغة والمنطق، والمنطق والروحي، وأنّها في الحقيقة مسألة ما زالت تشغل الناس حتّى اليوم، واليومَ خاصّةً في العالم العربيّ والإسلاميّ، إذ السؤال مطروح: هل يمكن الانصراف إلى العلوم العقليّة من دون أن تعرّض الدين إلى خطر الاهتزاز؟ وكان جواب التصّيني أنّه لا بدّ من مواجهة هذا التحدّي. وإنّه على حقّ لأنّ تحدّي الحريّة لممّا يشرّف الإنسان، بل هو من جوهر الإنسان.

أ. ك. ح.

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

تأليف الأب لويس شيخو اليسوعيّ
دار المشرق، بيروت، ١٩٩٥، ٢٨٢ صفحة، تجليد فنّيّ مع قميص

كان من عادة المغفور له العلّامة الأب لويس شيخو اليسوعيّ أن يكتب لمجلّته المشرق المقالات المستفيضة، يجزّئها أقسامًا تصدر على التوالي، ثمّ يجمعها عند النجاز فتأتي كتابًا متكاملًا.

إلّا أنّ الظروف لم تسمح له دومًا بإخراج مقالاته المتسلسلة المهمّة على النحو المذكور، فبقي بعضها طيّ صفحات المشرق، في حين يجدر بها أن يُوسّع نطاق انتشارها. ومن جملتها مجموعة الأبحاث التي أطلق عليها شيخو عنوان «تاريخ فنّ الطباعة في المشرق».

لقد صدرت هذه المقالات بدءًا من سنة ١٩٠٠ (المشرق ٣، ص ٧٨ وما يليها) وتناولت بإسهاب وشمول نتاج العلّة المتراوحة بين بدايات المطابع وزمن المؤلّف، فجاءت وثيقة بالغة الأهمّيّة لا غنى عنها لدارسي تاريخ الكتاب المطبوع في بلادنا. وها إنّ دار المشرق قد آلت اليوم على نفسها أن تجمع شتات تلك الأبحاث القيّمة في مجلّد واحد، وتصدرها ضمن مجموعة «مؤلّفات الأب لويس شيخو» الأدبيّة لياهم الكتاب الجديد، إلى جانب ما سبقه، في إبراز وجه الحضارة المشرقيّة البرّ على النحو الذي أراده العلّامة اليسوعيّ الشهير. وزيادة في وضوح الإخراج وتيسير الرجوع إلى المعلومات، بُوّبت المعطيات تبويبًا جليًّا، وزيدت مجموعة من الفهارس التي لا بدّ منها لاستعمال الكتاب على أنفع وجه: فهرس المطابع، وفهرسَيْن للمؤلّفين وسواهم من الأعلام، وفهرس رابع للمؤلّفات المذكورة.

أ. كميل حشيمه

زيادات حقائق التفسير

لأبي عبد الرحمان محمّد بن الحسين السلميّ
(توفّي ٤١٢ م/ ١٠٢١ هـ)
حقّقها جيرهارد بوورينغ
أستاذ الدراسات الإسلاميّة في جامعة ييل
سلسلة «بحوث ودراسات» بإشراف كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة
في جامعة القدّيس يوسف،
بيروت، ٢٩٠ صفحة، تجليد فنّيّ مع قميص

كتاب زيادات حقائق التفسير يفسّر القرآن الكريم تفسيرًا صوفيًّا، وطبعته هذه تستند إلى مخطوطة يتيمة محفوظة في خزانة كتب «غازي خسرو بغوفا» في سارايفو بالبوسنا. والكتاب تفسير أصغر للقرآن أراده السلميّ ذيلًا لتفسيره الأكبر حقائق التفسير.

زيادات حقائق التفسير مرتّبة ترتيبًا تتابعيًّا، فقد اختار مصنّفه نحو ستمائة آية أو قطعة آية ففسّرها، وبعد كلّ واحدة منها ذكر عددًا من التعليقات على أكثر من ألفَي كلمةٍ أو مسألة اقتبس تلقّيها من كتّاب عاشوا بين القرنين الثاني/الثامن والرابع/العاشر وذاع صيتهم في أوساط الصوفيّة. وأهمّ الأعلام الذين استشهد بهم جعفر الصادق وسهل التستريّ وابن عطاء الأدَميّ وأبو بكر الواسطيّ.

ويتضمّن كتاب الزيادات مجموعةً كبيرة من المصادر الأصليّة غير المعروفة، التي لا وجود لها إلّا في الكتاب هذا، وهي عظيمة الفائدة لتاريخ بدايات التصوّف. ويبرز الكتاب طريقة المتصوّفة في تفسير القرآن وهي طريقة كان لها بليغ الأثر في قسم كبير من تفاسير القرآن باللغة العربيّة (واللغة الفارسيّة في ما بعد).

أ. ك. حشيمه

لُباب المُحصَّل في أصول الدين

تأليف العلّامة ابن خلدون
تحقيق الدكتور رفيق العجم
السلسلة الفلسفيّة. دار المشرق، بيروت، ١٩٩٥، ١٥٢ صفحة

أتمّم كتاب «لُباب المُحصَّل» بيمة أعمال علم الكلام الإسلاميّ المتأخّر، علمًا أنّ ابن خلدون قد كتبه في ريعان شبابه. والمخطوط الذي اعتمدت عليه نشرة المحقّق والدار هو بخطّ العلّامة نفسه وقد جاء مضمون الكتاب معبّرًا عن معان انطلقت من نبعات إسلاميّة عربيّة صرفة، بمثل ما أظهر قدرات متميّزة في استقبال فكر الآخر وحججه العقليّة، بعدما طبعها بطابع العربيّة والمفاهيم الإسلاميّة. وشاءت أن تنضج كلّها في محصّل الرازيّ

وشرحه للطوسيّ، حيث بلغت ابن خلدون واضحةً عميقة، عقب اختمار طويل وتضلّع من المنطق والفلسفة إلى جانب أصول الدين، وبعد تقاطع التيّارات المعتزليّة والأشعريّة والماتريديّة والظاهريّة والباطنيّة.

وقد عالج الكتاب موضوعين: موضوع عقليّ منطقيّ، وردت فيه أبحاث البديهيّات والنظر والدليل، إلخ. وموضوع كلاميّ توحيديّ، ضمّ ركْنَي الإلهيّ والسمعيّ. فجاء الإلهيّ ليبحث في أدلّة وجود الله وصفاته، وسَرْدَ السمعيّ مسائل النبوّة والمعاد والأسماء والإمامة.

وألحق الكتاب، إلى جانب المقدّمة التحليليّة، بفهارس للمصطلحات والأعلام والفرق.

د. ع.

في آفاق الحوار الإسلاميّ المسيحيّ

تأليف آية الله السيّد محمّد حسين فضل الله
دار الملاك، بيروت، ١٩٩٤، ٤٥٨ صفحة

ما زال الحوار من أكثر الموضوعات إثارةً للاهتمام، إن على الصعيد المحلّيّ في لبنان أو على الصعيد العالميّ. ولم يعد الأفراد وحدهم معنيّين بهذا الشأن، بل أخذت الحكومات نفسها تسعى جهدها لتحاشي الصراعات بين الحضارات كما تصوّر ذلك صموئيل هُنْتِنغتُن عام ١٩٩٣.

في عدد سابق من المشرق (١٩٩٥، ص ١٢٣-١٣٨) زاجعنا كتابين ظهرا في لبنان وهما يعالجان موضوع الحوار، أوّلهما بعنوان العلاقات الإسلاميّة - المسيحيّة، مركز الدراسات الإستراتيجيّة والبحوث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٤؛ والثاني بعنوان في آفاق الحوار الإسلاميّ المسيحيّ، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٤. وفي كلامنا على المؤلَّف الأخير توقّفنا فقط عند مقالات السيّد محمّد حسين فضل الله حول الحوار، وأعرضنا عمّا ورد في الكتاب من محاضرات ومقابلات، ويوازي مجموعها نحو ثلثَي الكتاب. ولمّا كانت إدارة المشرق قد تلقّت من سماحة الشيخ المؤلّف نسخةً هديّةً من كتابه، رأينا من المفيد أن نكمّل ما نقص في عرضنا السابق.

وأوّل ما نشير إليه، سباقُ الموضوعات التي ضربنا صفحًا عنها في مراجعتنا الأولى. في الفصل السادس يحاور السيّد فضل الله الكهنة والقساوسة والرهبان:

١ - حوار مع ثلاث شخصيّات من الطائفة البروتستانتيّة: الهولنديّ، والأمريكانيّ، ... (ولا ذكر للثالث!)، ١٩٩٢.

٢ - حوار مع الكاهن الإيطاليّ برناردو تشيرفليرا، ١٩٨٨.

٣ - حوار مع القسّيس الهولنديّ أندرو، ١٩٩٢.

٤ - حوار مع المطران جورج خضر من خلال الصحافة اللبنانيّة، ١٩٩٢.
٥ - مع الخوري يوحنّا كركباني، ١٩٨٧.
٦ - العظة التي ألقاها غبطة البطريرك إغناطيوس الرابع خلال القدّاس في دمشق، ١٩٩٣.

في الفصل السابع: محاضرات:
١ - في الجامعة الأميركيّة ٢٢/١٢/١٩٨٧
٢ - في الجامعة الأميركيّة ٢٢/١٢/١٩٩٢
٣ - في كلّيّة بيروت الجامعيّة (نشر النصّ في جريدة النهار) ٢٧-٢٨/١/١٩٩٣
٤ - في الجامعة الأمريكيّة ١٩/١/١٩٩٤
ألحقت المحاضرتان الثانية والرابعة بالأجوبة عن الأسئلة التي طرحها المستمعون. وفي الرابعة إشارة إلى أنّ صاحب الدعوة هو نادي السلام وحقوق الإنسان في الجامعة.

في الفصل الثامن: مقابلات
التاريخ: ١٩٩١-١٩٩٢-١٩٩٣؛
مع جرائد: النهار، السفير، الديار، نداء الوطن
ومجلّات: العهد، السبيل، البلاد
ومقابلة صحفيّة لم تُنشَر (موقف مدنيّ).
ليس من جديد يُزاد على ما أوردناه سابقًا في شأن الفصول الخمسة الأولى، سوى أنّ القارئ سوف يلحظ أنّ اللهجة تختلف في بعضها عمّا هي في بعضها الآخر. فعندما يلتقي السيّد فضل الله الكهنة والقساوسة الأجانب، فإنّه يتكلّم وهم يصمتون. ثمّ تراه يجيب عن الأسئلة التي يطرحها عليه الكهنة والأساقفة المحلّيّون، ولا تختلف الطريقة هنا عمّا هو مألوف في مقابلة تتخلّلها الأسئلة والأجوبة. أمّا في المحاضرات، فمن الواضح أنّ السيّد العلّامة يتكلّم وجمهوره يصغي. فيبادر إلى ذهن القارئ السؤال التالي: هل هذا حوار؟ والظاهر في الواقع أنّ العلّامة الكريم يلجأ إلى جميع الفنون الأدبيّة على أنّها منابر لتبيان مفهومه الحوار. ولا شكّ في أنّه يعترف في عدّة أماكن أنّ ذلك ليس سوى خطوة أولى، وما يقوم به إن هو إلّا خلق المناخ الملائم للحوار. فالمهمّ هو الاستمرار في إلقاء الكلمة ومساعدة الناس حتّى يتغلّبوا على خوفهم من الإفصاح عمّا يدور في خَلَدهم حقًّا أمام «الآخر».
كما أنّ سماحة الشيخ يعلن أنّه متّصل بالشعب ويرفض أن يكون أسيرَ دورٍ تفرضه عليه المؤسّسات من أمثال المجلس الأعلى الشيعيّ الإسلاميّ. وهذا ما قاله لصحفيّ من جريدة النهار (ص ٣٦٦): «منذ البدايات، عندما تأسّس المجلس الشيعيّ وكنت وسيطًا بين الذين يختلفون حول بعض القضايا المثارة آنذاك، قلت إنّني لن أنتخب، ولن أنتخب، لا تعقيدًا من المجلس ولا تعقيدًا من الذين يشرفون على المجلس لأنّني أحترمهم، ولكن لأنّ أسلوبي في العمل السياسيّ والدينيّ لا يطيق أن يحبس نفسه في هذه الدوائر، لأنّني أعمل على مستوى العالم الإسلاميّ كلّه بالطريقة المنفتحة على الواقع الدينيّ والسياسيّ

والاجتماعيّ والثقافيّ. فأنا لا أتحرّك لبنانيًّا وإن كنت أعتزّ بموقعي في لبنان وأشعر بمسؤوليّتي عن كلّ ما يتّصل في لبنان بحجم طاقتي، ولكنّني أتحرّك إسلاميًّا في مجمل العالم الإسلاميّ. لذلك فإنّ الدخول في هذه الدوائر لا يتناسب مع الخطّة التي اختطتّها لعملي الإسلاميّ في الحياة، ولكن لي صداقات وعلاقات مع الذين يعيشون في هذه الدوائر».

إنّها لهجة هادئة، لهجة مَن يتكلّم من موقع السلطة، وتتلمّسها في سائر إجاباته وإعلاناته. إنّها لهجة «المرجع» بمعنى الكلمة عند الشيعة. والجماهير تتقاطر عند بابه، في حين قلّما يقرع هو باب الآخرين، ويمرّر ذلك بقوله: «لأنّني من خلال الظروف المعقّدة الأمنيّة التي أعيشها قد لا أستطيع أن أملك حرّيّة الحركة التي أتمنّاها لتكون لقاءاتي أكثر سعة» (ص ٣٦١).

والمحاضرات التي أُلقيت على الطلّاب شدّدت على ضرورة الخروج من الذات لدخول الحوار، وعلى ضرورة نسيان المعتقد الشخصيّ للنظر بموضوعيّة إلى معتقد الآخر: «لكن أن تطرح نفسك في ساحة الحوار، لا بدّ لك أن تكون محايدًا بين فكرك وبين فكر الآخر، أن تعمل على أن تعزل ذاتك عن فكرك حتّى لا تكون هناك ذاتٌ تصارع ذاتًا بل يكون هناك فكر يصارع فكرًا... هذا هو الأسلوب الذي يقول «الشكّ في طريق اليقين» (ص ١٨٩-١٩٠).

ولا مراء في أنّ السيّد العلّامة مقتنع بضرورة الحوار، وهو واثق بأنّ المسلمين والمسيحيّين متّفقون في ٨٠٪ أو ٩٠٪ من مضمون الديانة والقيم. ولكنّه، في حديث أجرته معه صحيفة «شؤون الأوسط» الصادرة عن «مركز الدراسات الإستراتيجيّة للبحوث والتوثيق»، يعلن عن وجهةٍ أُخرى من نهجه، رغبةً منه في الدفاع عن «فكرته». قال: «عند ذلك يمكن أن تكون التعدّديّة السياسيّة منسجمة مع حركة الإسلام في الواقع، لأنّك عندما تلغي التعدّديّة على أساس أنّ إلغاءها هو الذي يحمي لك فكرك - وهنا نلاحظ أنّ الدول التي ألغت التعدّديّة، كالاتّحاد السوفياتيّ، سقطت تحت تأثير إلغاء التعدّديّة السياسيّة من دون أن تترك أيّ فرصة كبيرة لالتزام الناس فكرها - فإنّنا نعرف أنّ إلغاء التعدّديّة السياسيّة قد يعطي عكس المطلوب، إذا كان المطلوب هو حماية الفكرة. ولذلك لا مانع، انطلاقًا من طبيعة المتغيّرات، أن ينسحب المجال إسلاميًّا للتعدّديّة السياسيّة، من ضمن الضوابط التي تحمي الخطّ الإسلاميّ، ولا تسيء إلى حرّيّة الناس».

و«الفكرة» هنا هي بالطبع الدولة الإسلاميّة، ولا يتردّد السيّد فضل الله في إعلان ذلك صراحةً: «الإنسان المسلم لا يستطيع إلّا أن يطرح الدولة الإسلاميّة... المشروع السياسيّ في الإسلام جزء من ذاتيّة الإسلام الفكريّة والشرعيّة والعمليّة» (ص ٢٠٤).

ولمّا سُئل سماحته عن طرحه فكرة دولة الإنسان، أجاب أنّ هذا الطرح هو مرحليّ: «طرحتُ هذا المشروع كطرحٍ مرحليّ، لأنّه لا يمكن أن أتنازل عن دولة الإسلام، فهو فكرنا الذي نطرحه في العالم، حتّى العالم الذي لا يوجد فيه مسلمون، فالإسلام هو الحلّ لمشاكل الإنسان» (ص ٤٤٢).

ولمّا كانت فكرة الدولة الإسلاميّة مركزيّة أساسيّة في عقيدته، فهو يحاول دومًا إقناع

«الآخر» بأنّه لا ينبغي أن تثير فيه تلك الفكرة أيّ مخاوف، كما يشهد لذلك ١٤ قرنًا من تسامح الإسلام.

أمّا في أمر «الجزية» و«الذمّة» وما يثار حولهما من انتقادات معهودة، فإنّ لسماحته في ذلك تفسيرات تلفت الانتباه، إلّا أنّها غير مقنعة كلّ الإقناع. كما أنّ له تفسيرًا فريدًا للآية الإنجيليّة «مَن ضربك على خدّك الأيمن فأدِر له خدّك الأيسر» (ص ٢٢٢).

إلّا أنّ البرهان القاطع الذي يستند إليه السيّد محمّد حسين فضل الله هو، على ما يبدو، أنّه ليس للمسيحيّين من شريعة منزلة أو حكم. وعندما يشير موفّق مدني، في المقابلة التي لم تُنشَر، إلى أنّ الدولة الإسلاميّة تثير، لا محال، معارضة «الآخرين» لأنّها مبنيّة على المعتقد الدينيّ (ص ٤٤٥)، لا يتمالك السيّد من إبداء انزعاجه وينكر اضطهاد الصحافة إيّاه، ويقول: «لماذا تريد أن تضطهدني لتصادر وجهة نظري، أُدخِلُ ساحة الصراع معي إذا كنت تحترم فكرك، وأدخلُ ساحة الصراع معك إذا كنتُ أحترم فكري، ولتحتكم للناس الذين يفكّرون لتكون المسألة لمَن هو أقوى في ساحة الصراع. إنّ القضيّة في هذا المجال أنّ العلمانيّين يطرحون ذلك لا المسيحيّة، وأنّ العلمانيّين يطرحون ذلك لا الإسلام» (ص ٤٤٨). ويقول أيضًا: «إذًا على هذا الأساس تعيد ما تحدّثنا عنه سابقًا: هل تقوم الدولة على الاجتماع، أو تقوم الدولة على الفكر الأقوى؟ لا بدّ أن تكون هناك أقلّيّة وأكثريّة. إذا لم تكن هناك أقلّيّة دينيّة فهناك أقلّيّة فكريّة أو حزبيّة أو ما إلى ذلك» (ص ٤٤٩).

ثمّ ينتقل من قوّة الفكر إلى الوزن الديمغرافيّ فيفضي إلى القول التالي: «ليست المسألة أن يقبل الآخرون أو لا يقبلون، بل المسألة هي ما هو حجم الذين يقبلون وما هو حجم الذين لا يقبلون، إذا كنّا نريد أن تجري الأمور على أساس الحجم. وأمّا إذا أردنا أن تسير الأمور على أساس ما هي الحقيقة هنا، وما هي الحقيقة هناك، فقد ندخل في متاهات كبيرة. لذلك قد تكون مسألة الحجم الإنسانيّ في هذا الجانب هي الحلّ الذي هو أقلّ خطأً، لأنّه ليس من الضروريّ أن يكون هو الحلّ الأقرب إلى الواقع» (ص ٤٥٠).

لا شكّ في أنّنا لا نستطيع انتقاد سماحته لأنّه لا يُفصح عن نواياه. فهو، على العكس، صريح جدًّا، ولا يدعك تحتار في أمره، وهدفه الأخير هو الدولة الإسلاميّة، والمسلم الحقّ لا يسعه أن يتقدّم بمشروع سواه.

إلّا أنّنا نتردّد قبل أن نصدر حكمًا نهائيًّا بسبب أفكار الشيخ فضل الله حول الفاتيكان. فإنّه يقول بأنّ هذه الدولة لم تكن على حقّ لمّا اعترفت بإسرائيل، وما كان عليها أن تفعل ما فعلت. ولئن أعترض أحد بقوله إنّ إسرائيل هي أمر واقع، أجابه سماحته أنّ الشيطان أيضًا هو أمر واقع ولكنّنا لا نريد أن نقدّم له مقعدًا في قاعات محاضراتنا. والفاتيكان مرجع روحيّ، ومن ثمّ عليه أن يحافظ على المبادئ الروحيّة في وجه الواقع السياسيّ المزعوم. ونقول نحن: هل من غير اللائق لو سألنا الشيخ الجليل: أليس النظام الإسلاميّ المطلوبُ إقامته في العالم، هو أيضًا مبدأ روحيّ يجب التمسّك به في مواجهة الواقع السياسيّ؟

أ. جون دنوهيو

البيانات المسيحيّة الإسلاميّة المشتركة
من ١٩٥٤م/ ١٣٧٣ هـ إلى ١٩٩٢م/ ١٤١٣ هـ

جمعتها جوليت حدّاد،
بإشراف الأب أوغسطين دويره لانور اليسوعيّ
والدكتور هشام نشابه
دار المشرق، بيروت، ١٩٩٥، ٣٠٦ صفحات

صدر هذا الكتاب برعاية معهد الدراسات الإسلاميّة المسيحيّة في جامعة القدّيس يوسف، وهو يبرز أهمّيّة اللقاء بين الديانتين الموحّدتين الكبيرتين والشوط البعيد الذي قُطع في هذا المجال إبّان السنين الأربعين الأخيرة.

وقد جُمعت الوثائق بحسب ترتيبها الزمنيّ بدلًا من الترتيب التحليليّ لأنّ التنسيق الزمنيّ يسمح بملاحظة التطوّر الناتج، مع المحافظة على نظرة أقرب إلى الموضوعيّة. والمجموعة هذه وسيلة جليلة الفائدة للباحث العلميّ ولتنمية التعارف المتبادل بين مؤمني المسيحيّة والإسلام. وفي آخر الكتاب عدد من الفهارس والجداول.

أ. ك. ح.

Les chrétiens du Proche-Orient
au temps de la Réforme catholique

par Bernard Heyberger
Ecole Française de Rome, 1994, 666 pages

مسيحيّو الشرق الأدنى في زمن الإصلاح الكاثوليكيّ

كتاب يدعوك إلى الإعجاب بمؤلّفه والثناء عليه كلّ الثناء. فقد برهن الدكتور برنار هيبرجو على أنّه من عداد المستشرقين الأفذاذ الذين أكبّوا على شؤون بلادنا بكلّ إخلاص وتفهُّم ومحبّة مقرونة بالاطّلاع الواسع والنقد المنصف العلميّ السليم.

يحدّد المؤلّف في مقدّمته المساحة الجغرافيّة التي سيتناولها بالدراسة، فينحصر على سورية وفلسطين ولبنان، ثمّ يخصّص لموضوعه أبوابًا ثلاثة. أوّلها بعنوان «الجماعات الشرقيّة في القرنين السابع عشر والثامن عشر»، وهو يعالج، في فصل أوّل، واقعَ هذه الجماعات من الناحية التاريخيّة وما واكبها من انقسامات، ومن الناحية الجغرافيّة وما تتّصف به من تشتّت الطوائف وتداخل رُقَع بعضها برُقع بعضها الآخر، ملاحظًا أنّ الطوائف المسيحيّة تميّزت بحركة حلّ وترحال مستمرّة. - وفي فصل ثان، وعنوانه «ذمّيّون في ديار الإسلام» يدرس الباحث وضع المسيحيّين الشرقيّين بصفة كونهم خاضعين لسلطة المسلمين

وما يلحق بذلك من واجبات كدفع الجزية، وضغوطات كارتداء الملابس المميّزة. - الفصل الثالث يتطرّق إلى مسألة تنظيم الطوائف ونظام عملها، والرابع إلى البنيتين المذهبيّة والاجتماعيّة، مركّزًا على ظواهر التضامن العائليّ ودور الأحياء. - أمّا الخامس فيتناول شؤون الثقافة والممارسات الدينيّة.

الباب الثاني، وعنوانه «من الغرب إلى الشرق»، يعالج العلاقات التي قامت بين أوروبّا والمشرق المسيحيّ، فينطلق من وصف الذهنيّة التي كانت لا تزال تسود الغرب في مطلع القرن السابع عشر وتحلم بمعاودة الحملات الصليبيّة، ثمّ تتلاشى بمرور الزمن. وخُصّص في هذا الباب فصل بالحجّ إلى الأراضي المقدّسة ومفهوم حماية تلك الأماكن، وفصل ببدايات رسالة الكنيسة الغربيّة بين الشرقيّين مع ما رافقها من مساعٍ لإحلال الوحدة، وفصل بالانتقال من مرحلة الحروب الصليبيّة إلى مرحلة حماية الغرب، لاسيّما فرنسا، للمسيحيّين الشرقيّين، وآخر بوصف عمل المرسلين في شتّى مظاهره وأساليبه.

أمّا الباب الثالث فقد عالج موضوع «نشوء الكاثوليكيّة الشرقيّة» وتضمّن فصولًا ستّة. أوّلها أظهر الترابط القائم في البدايات بين الأرثوذكس والكاثوليك إذ كانت العلاقات بين الطرفين وافقًا راهنًا لم تتراخَ فيه الأواصر وتتمّ القطيعة إلّا بعد مدّة من الزمن. ومع تثبيت التمايز تزداد التأثيرات الرومانيّة، ويبيّن أحد الفصول كيف كانت تتمّ تنشئة الإكليرس في عاصمة الكثلكة، كما يعالج فصل آخر قيام الرهبانيّات المشرقيّة في محاولةٍ جمعت بين تقاليد الشرق وابتكارات الغرب. وهناك ثلاثة فصول تبحث مطوّلًا في تنشئة العلمانيّين الثقافيّة والروحيّة، وفي الأخويّات وسائر النشاطات التقويّة التي راجت وكان هدفها تثبيت الإيمان وبثّه في سائر مظاهر الحياة اليوميّة.

وبعد هذه الأوصاف والتحاليل المستفيضة التي تستغرق نحو ٥٦٠ صفحة، يفرد المؤلّف مائة صفحة أخرى للوائح مصادره ومراجعه ولبعض الملحقات والفهارس.

حسنات هذا الكتاب الضخم كثيرة. أوّلها اتّساع رقعة مصادرها كما ذكرنا. فلم يترك المصنّف شاردة ولا واردة تمتّ إلى موضوعه إلّا اهتدى إليها شرقًا وغربًا، بين مطبوع ومخطوط، ومشهور ومغمور محفوظ، متنقّلًا بمهارة بين الأصول والدراسات، مستشهدًا بآخر ما صدر من مقالات قُبيل وضع كتابه إلى الطبع. ولكنّنا لاحظنا غياب ذكر مؤلّفات الأب بطرس ضوّ عن الموارنة، العربيّة منها خاصّة، وآخرها بالفرنسيّة. فحبّذا لو أدرجها مع ما أدرج في الصفحة ٥٩٨. كما أنّنا نأخذ عليه إهماله إلى حدّ ما، المصادر المخطوطة الشرقيّة إذا ما قُورنت حصّتها بنصيب المخطوطات الحلبيّة. وقد استبق المؤلّفُ نفسُه ناقديه إذ برّر مسلكه بأنّ حلب كانت المركز المسيحيّ المشرقيّ الأهمّ في الحقبة التي درسها. وبا لبته، مع ذلك، حاول أن يشدّ التكافؤ بين كفّتَي الميزان.

وممّا يُستحسن في أسلوب لجوء المؤلّف إلى المراجع، أنّه لم يكتفِ بسردها عند استناده إليها، بل قوّمها وأفسح من خلالها في المجال أمام المزيد من مجالات البحث الرديفة، ممّا جعل من كتابه خير معين ومرشد لمَن يريد التعمّق في الموضوع برمّته أو بتفاصيله.

وصفة المرجعيّة التي يتحلّى بها هذا الكتاب تأتيه أيضًا من كونه يزخر بالمعلومات،

بعضها ممّا شاهده الكاتب بأمّ العين أو سمعه مباشرةً (ص ١٥٨، حاشية ٣٤). وهذه المعلومات، وإن تكن في معظمها غير خافية على ذوي الاختصاص، إلّا أنّها تكتسب أهمّيّة خاصّة بفضل تجميعها وترتيبها (أطلب مثالًا على ذلك الصفحة ١٣٢، الحاشية ٣٦). وعليه فلا بدّ بعد اليوم لكلّ باحث في شؤون مسيحيّة المشرق إبّان القرنين السابع عشر والثامن عشر من الرجوع إلى هذا الكتاب الموسوعة.

وإلى جانب هذه الحسنات الجمّة في منهجيّة الكتاب، ثمّة أمور كثيرة تمُتّ إلى المضمون، قد وُفّق المؤلّف في معالجتها أو تبيانها، فنشير إلى بعض منها:

فقد أحسن المؤلّف، مثلًا، في تحليله نظام الطائفة، ووصفِه طرائق العلاقات فيه، من تضامن أُسَريّ، و«حماية» العامّة على يد المتنفّذين، ودَورِ الإعيان (ص ١١٩-١٣٧).

وممّا لفت نظرنا أيضًا أنّه أنصف اليسوعيّين من جهة مواقفهم من التقاليد والطقوس الشرقيّة، فبيّن، خلافًا لبعض المتحاملين، أنّهم غالبًا ما دافعوا عن تلك التقاليد والطقوس، ممّا أثار عليهم حفيظة عدد من الرهبان الغربيّين (ص ٣١٤).

وسَرَّنا ما قال من أنّ وضع المسيحيّة في الشرق لم يكن على نحو ما وصفه بعض المرسلين أو تصوّره عدد من الغربيّين، من تقهقر أو تخلّف، فبيّن كيف ثمّن سواهم أمورًا إيجابيّة كثيرة لَحَظُوها وقدروها.

ولا بدّ من الإشادة أيضًا مع المؤلّف بما وصل إليه نظام التعليم لدى المسيحيّين الشرقيّين. فقد كثرت المدارس وتهافت التلاميذ عليها. ويأخذ منك العجب والإعجاب إذ تطالع (ص ٤٥٩) أنّ عدد التلاميذ في مدارس دمشق الكاثوليكيّة كان، في العام ١٧٦٠، يناهز الخمسمائة، موزّعين بأغلبيّتهم على الفرنسيّين والكبّوشيّين واليسوعيّين، وبأقلّيّة على الموارنة والسريان والروم. وهذا لعمري عدد ضخم إذا ما قيس بعدد الكاثوليك آنذاك في المدينة المذكورة، ولم يتعدَّ ٤٦٠٠ نسمة. وكانت السلطات الكنسيّة تشجّع مؤمنيها كثيرًا على تعليم أبنائهم، وغير خفيّ ما أثرّه مجمع اللويزة المارونيّ (عام ١٧٣٦) من ضرورة فتح مدرسة في كلّ مدينة وقرية ذات شأن، وفي كلّ دير.

هذا بعض ما تميّز به كتاب الدكتور هيرجيه من جهة المضمون والمنهجيّة. وبعودة سريعه إلى الناحية الأخيرة نردّ ملاحظة بعض الهنات:

- كتب المؤلّف الأسماء العربيّة بالأبجديّة اللاتينيّة معتمدًا أسلوبًا خاصًّا به، لا هو الذي تبنّاه معظم العلماء المستشرقين ولا هو الذي تلجأ إليه العامّة، لا بل خلط الأوراق فدلّ على بعض الحروف بما يدلّ على سواها لدى المستشرقين (ك ترمز عنده إلى «ض» في حين أنّها ترمز عادة إلى «ذ»؛ ع ترمز إلى «ص»، في حين ترمز عادةً إلى «ث»، إلخ. فيا ليته راعى هذه الناحية، إذن لما بَلبل.

- وقعت بعض الأغلاط في نسخ عدد من الكلمات لعلّ مردّها إلى سوء قراءتها في الأصل: «نَبيحي» حوران (masīhī) بدلًا من «مسيحيّ» (masīhyyī) حوران (ص ١٦٢ حاشية ٤٠)؛ ابن «دورد» (Dawūd) بدلًا من ابن «داورد» (Dāwūd) (ص ٤٢٠)؛ يوسف زيّده (Ziyyada) بدلًا من يوسف زياده (Ziyāda) (ص ٥٣٤)؛ إبراهيم «مرنوش» (Marfush) بدلًا من إبراهيم «حرفوش» (Harfūsh) (ص ٥٧١)؛ مصر «الجديد» (Al-Jadīd) بدلًا من

مصر «الجديدة» (Al-Jadida) (ص ٥٧١)؛ إلخ.

إلّا أنّ هذه العثرات الطفيفة نقطة في بحر ما أتحفنا به مؤلّف الأستاذ هيرجه، وإنّه، بلا مراء، يتمّم الكتاب وخير مستند.

الأب كميل حشيمه

كنائس بغداد وديراتها

تأليف الأب بطرس حدّاد
شركة الديوان للطباعة، بغداد، ١٩٩٤، ٣٣٥ صفحة

ليس مؤلّف هذا الكتاب بغريب عن قرّاء المشرق. فإنّ له في هذا العدد من المجلّة مقالًا صغيرًا تاريخيًّا، وسبق أن أصدر في العدد الأوّل من السنة الماضية مقالًا آخر من النوع نفسه. ويكتابه عن بغداد بكنائسها وأديرتها يقدّم إلى قرّاء العربيّة عملًا تاريخيًّا مميّزًا جليل الفائدة من عدّة نواحٍ. ذلك بأنّ بغداد، العاصمة العريقة بتاريخها، شاهدَت على مرّ العصور من أحداث التاريخ المسيحيّ ما هو بالغ الشأن إن في صُنع تاريخ البلاد أو في تكوين حياة الكنيسة. وفي هذه الحاضرة أديار وكنائس كثيرة شهدت بذلك في الماضي وما زالت تشهد.

قسّم المؤلّف كتابه أربعة فصول. الأوّلان يتناولان بإيجاز مكثّف تاريخ بغداد وجغرافيّتها، وأوضاع المسيحيّين فيها بما في ذلك محلّات السكنى وإدارة الكنائس والحياة الرهبانيّة. وهذان الفصلان هما بمثابة التوطئة لفهم الفصلين التاليين، فأوّلُ هذين، وهو الثالث في الكتاب، يستعرض تاريخيًّا وجغرافيًّا الكنائس التي كانت في بغداد قديمًا والتي تقوم فيها حديثًا. أمّا الفصل الرابع فيبحث في الأديار القديمة والحديثة.

الكتاب غنيّ بما يوفّره من المعلومات، ويستند إلى عدد كبير من المصادر والمراجع، قديمها وحديثها، باللغات العربيّة والأجنبيّة، وهو ملحق بفهارس مفيدة، أحدهما للأعلام، والثاني للأماكن والثالث للألفاظ.

ولدينا ملاحظات قليلة نسوقها إكمالًا للفائدة ولتصحيح بعض البنات:

- أورد المؤلّف في طليعة لائحة مراجعه (ص ٢٩٨) كتاب الأب البير أبونا: تاريخ الكنيسة الشرقيّة المطبوع سنة ١٩٧٣ في حزنه الوحيد بالموصل، ربما حتّذا لو استعان بطبعة الكتاب الثالثة الموسّعة التي صدرت في ثلاثة أجزاء عن دار المشرق ببيروت، ١٩٩٢-١٩٩٣.
- ورد في الصفحتين ٢٧٦-٢٧٧ أنّ القدّيس إغناطيوس دي لويولا أسّس الرهبانيّة اليسوعيّة عام ١٥٣٤، والصحيح أنّ الاعتراف الرسميّ بالرهبانيّة تمّ في ٢٧ أيلول/سبتمبر ١٥٤٠.
- كثرت الأغلاط الطباعيّة في المراجع الأجنبيّة، ولكنّها طفيفة لا تشوّه المعنى.
- يا ليت المؤلّف أبرز عناوين الكتب والمجلّات في الحواشي والمتن، كأن يصوّرها

بالحرف الثخين أو بضعها بين معقوفين ليسهل تميزها عن النصّ.

- حبّذا لو يمتنع كتّابنا المعاصرون، ومنهم حضرة المؤلّف، عن استعمال كلمة «نصارى»، والاستعاضة عنها بلفظة «مسيحيّين» التي هي أصحّ. فالنصارى في الأصل غير المسيحيّين الأقحاح، وما هم إلّا شيعة منهم.

ومهما يكن من أمر هذه النقائص المحدودة، فالكتاب مرجع رصين موثّق، بالغ الأهمّيّة لمعرفة العراق المسيحيّ.

أ. كميل حشيمه

أرز لبنان

تأليف ديزيري صادق عزيز
ترجمة وِدّاد طربيه
دار المجاني، بيروت، ١٩٩٥، ١٤٠ صفحة

حاز هذا الكتاب جائزة الأكاديميّة الفرنسيّة للعلوم الأخلاقيّة والسياسيّة، ولا عجب، فقد أُخرج إخراجًا غاية في الفخامة والجمال، مزدانًا بالصور الملوّنة الرائعة، ترفع من مستواه نصوص منمّقة منوّعة، بعضها من تنسيج المصنّفة وبعضها الآخر منتقى من مصادر عالميّة الشهرة لأدباء من الشرق والغرب. والكتاب أنشودة بالنصّ والصورة، تحكي أمجاد شجرة خالدة خلّدت بدورها وطنًا صغيرًا بحجمه، كبيرًا برسالته.

ك. ح.

الرياضات الروحيّة

تأليف القدّيس إغناطيوس دي لويولا
طبعة ثالثة منقّحة ومزيد عليها
نقلها إلى العربيّة الأبوان صبحي حموي وفاضل سباروس اليسوعيّان
دار المشرق، بيروت، ١٩٩٥، ٢٨٢ صفحة

لقد ازدهرت ممارسة الرياضات الروحيّة في العالم أجمع إبّان السنوات الأخيرة، وكان لشرقنا العربيّ نصيبه الوافر في هذا المجال. فكثيرون هم الذين يُقبلون الآن على الخلوات الروحيّة مسترشدين الطريقة التي خطّها إغناطيوس دي لويولا مؤسّس الرهبان اليسوعيّين، وقد أعلن الباباوات هذا القدّيس شفيعًا خاصًّا للمنصرفين إلى الرياضات الروحيّة.

وكانت الرهبانيّة اليسوعيّة في المشرق قد سعت لتوفير ترجمات عربيّة لكتاب «رياضات» مؤسّسها، نذكر منها ما قام به الأب خليل إده سنة ١٩٣٦، ثمّ الأب صبحي

حموي سنة ١٩٨١ بإصدار جديد أعيد طبعه سنة ١٩٨٥.

أمّا الطبعة هذه، فقد أعاد فيها النظر الأب حموي نفسه والأب فاضل سيداروس فجاءت ترفل بتحسينات جذريّة. وممّا تتميّز به أنّها نُقّحت في ضوء الدراسات النقديّة الكثيرة التي صدرت في السنوات الأخيرة حول كتاب الرياضات، وأضيف إليها مقدّمة تضمّنت عدّة عناصر، أوّلها وصف الكتاب ومراحل تأليفه والعوامل التي أثّرت في هذا التأليف. وثانيها توضيح هدف «الرياضات» وهو إصلاح الحياة بعيدًا عن الميول المنحرفة للتمكّن من اتّخاذ قرار صائب. وثالثها بيان المنهج التربويّ الذي اتّبعه إغناطيوس. ومن حسنات هذه الطبعة الثالثة أنّها أضافت إلى الفهرسين الموجودين سابقًا (قائمة النصوص الكتابيّة، وقائمة أهمّ المواضيع) فهرسًا ثالثًا شُرحت فيه أهمّ المصطلحات التي استأثر بها القدّيس إغناطيوس دون سواه من الكتّاب الروحيّين. وهذا الفهرس هو من الأهمّيّة بمكان. فقد أُورد فيه، إلى جانب اللفظ العربيّ، اللفظ الفرنسيّ، ثمّ الإسبانيّ - وهو الأصل - ثمّ الإنكليزيّ. كما أشير في إثرها إلى أرقام المقاطع التي وردت فيها المصطلحات هذه في كتاب الرياضات. وقد وُضع في متن نصّ هذا الفهرس رفي المقدّمة نجمة (*) بعد كلّ لفظ له شرح في الفهرس المذكور. وكذلك جُمعت المصطلحات المشروحة في أربع مجموعات من الموضوعات: الصلاة، الاختيار، قوى النفس، تأثّرات النفس. فهذا الفهرس المتقن وما ذكرناه من التحسينات الأخرى التي تزيّنت بها هذه الطبعة الثالثة، لممّا يجعل من الكتاب الجديد أداة قيّمة في خدمة الباحثين والمرتاضين على السواء.

أ. كميل حشيمه

إنجيل لوقا
صعود يسوع إلى أورشليم

الجزء الثاني
تأليف الخوري بولس الفغالي
سلسلة «دراسات بيبليّة»، ٩، منشورات «الرابطة الكتابيّة»،
بيروت، ١٩٩٥، ٦١٨ صفحة

صدر الجزء الأوّل من هذا الكتاب في العام ١٩٩٣، وتناول «ظهور الكلمة والرسالة في الجليل»، أي الفصول ١ إلى ٩/ ٥٠ من البشارة بحسب لوقا. والجزء الثاني هذا يدرس القسم الممتدّ من الفصل ٩/ ٥١ إلى ١٩/ ٢٧، ممّا ينبئ بأنّ هناك مجلّدًا ثالثًا قيد الإعداد لدراسة ما تبقّى من إنجيل لوقا.

أمّا الأسلوب المتّبع في الكتاب فهو غاية في الوضوح، وتفسير النصوص يتمّ على نحوٍ مفيد، سهلٍ ومعمّقٍ معًا. تُشرح كلّ مقطوعة في حدّ ذاتها، ثمّ في علاقتها مع سياقها وفي علاقتها مع الإنجيل بأسره. ومن حسنات هذه الطريقة المجزّأة أنّ التركيز أسهل، فلا يضيع القارئ بين الإسهاب المملّ والإيجاز المقلّ، بل يجد ما ينشده، كافيًا وافيًا. أضف

إلى ذلك أنّ المؤلّف لم ينسَ، من خلال شرحه، مراعاة الناحيتين الروحيّة والرعويّة، فسعى جهده ليصل بقارئه إلى صاحب «الكلمة»، بل إلى الكلمة بالذات، يسوع المسيح. ولقد وُفّق في مسعاه.

بقي أن نتمنّى على المؤلّف الصديق أن يخفّف من الأغلاط الطباعيّة (أو النحويّة) التي تشوّه جمال نصّه، فلعلّه، لكثرة ما يُنتج، وهو في ذلك ممدوح مشكور، لا يجد متّسعًا من الوقت لضبط تلك الأغلاط. نشير خاصّةً إلى مواظبته على كتابة كلمة «ابن» بالهمزة تحت ألفها (ص ٤٢٤ إلى ٤٣٢، بضع عشرة مرّة...!)، واستعماله همزة القطع مع مزيدات الخماسيّ: الإرتباط (ص ١٩)، الإهتمام (ص ١٢٠)، الإنشداد (ص ٢٦٠)، إلخ. فعسى أن يكون المظهر في مستوى المخبر.

أ. ك. ح.

إنجيل يوحنّا
الجزء الأوّل: كتاب الآيات

تأنيف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «القراءة الربّيّة»، ٥، منشورات «الرابطة الكتابيّة»، بيروت، ١٩٩٥، ٢١٨ صفحة

سبق هذا الكتاب في سلسلته نُظراء له دُرِس فيها بالتتابع أناجيل متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا. وفي المصنَّف الخامس هذا، يعود المؤلّف إلى يوحنّا ليشرح ما لم يسنَّ له شرحه في الكتاب الرابع. أمّا الأسلوب الذي اتّبعه، فقوامه التوقّف أوّلًا عند التفسير اللغويّ، ثمّ عند الناحية التاريخيّة، فالرجهة الرسالتيّة، فالصعيد اللاهوتيّ الكتابيّ. ولا شكّ في أنّ هذا المنهج يساعد القارئ في اكتشاف غنى الكتاب المقدّس وإدخاله في إطار حياته، وهذا ما ابتغاه صاحب الكتاب، فأفلح.

ك. ح.

أعمال الرسل عنصرة كلّ العصور

محاضرات نسّقها وقدّم لها الخوري بولس الفغالي

سلسلة «دراسات بيبليّة»، الجزء العاشر، الرابطة الكتابيّة ١٩٩٥، ٤٧٧ صفحة

هذا الكتاب حصيلة المحاضرات الأربع والعشرين التي تُليت في مؤتمر سيّدة البير الكتابيّ الرابع (٢٢-٢٨ كانون الثاني/يناير) ١٩٩٥. كان موضوعه «أعمال الرسل عنصرة كلّ العصور»، وشعاره «تكونون لي شهودًا إلى أقاصي الأرض».

نذكّر بأنّ «الرابطة الكتابيّة الكاثوليكيّة العالميّة» هي مؤسّسة تعنى برسالة الكتاب

المقدّس. مركزها الرئيسيّ في شتوتغارت في ألمانيا، وفروعها في بلدان العالم كلّه. أُسّست سنة ١٩٦٩. ويمكننا أن نختصر هدفها في هذه الجملة التي نقتبسها من وثيقة «تفسير الكتاب المقدّس في الكنيسة» التي نشرتها «اللجنة الحبريّة الكتابيّة»: «نحن نفرح حين نرى أسفار الكتاب المقدّس في أيدي أناس وضعاء، في أيدي الفقراء الذين يستطيعون أن يحملوا إلى تأويلها وتأويلها نورًا نافذًا على المستوى الروحيّ».

وأُنشئ للرابطة المذكورة فرع في الشرق الأوسط سنة ١٩٨٥ يضمّ الآن مصر وفلسطين والأردنّ وسورية والعراق ولبنان، وينسّق العمل فيه الخوري بولس الفغالي منذ ٢٥/٩/١٩٩١. وفي السنة ١٩٨٥، عقد هذا الفرع مؤتمره الأوّل وكان هذا اللقاء مناسبة تعارف بين العاملين في حقل الكتاب المقدّس. وانعقد المؤتمر الثاني سنة ١٩٨٨ حول موضوع «القراءة المسيحيّة للعهد القديم» ونُشرت أعماله في ١٩٩١. وانعقد المؤتمر الثالث من ٣١/١٢/٩٢ إلى ٦/١/٩٣ وكان موضوعه «الأناجيل الإزائيّة». أمّا المؤتمر الرابع فكان موضوعه «أعمال الرسل عنصرة كلّ العصور»، وانعقد من ٢٢ إلى ٢٨/١/١٩٩٥.

رجاؤنا هو ما تأمله الرابطة المذكورة أي أن يكون هذا المؤلَّف الثالث الصادر عن فرع الشرق الأوسط «أداة تساعد المؤمنين على الولوج إلى سفر أعمال الرسل الذي هو امتداد للإنجيل الثالث الذي حمل كلمة الله إلى أقاصي الأرض».

أ. ص. ح.

١ - الكاهن المتجرّد
٢ - ناسك الصحراء
٣ - المتقشّف السعيد

تأليف الأب إميل الحاجّ اليسوعيّ
سلسلة «الشهود»، (الأرقام ٤٣، ٤٤، ٤٥)
المنشورات البولسيّة، بيروت، جونيه، ١٩٩٥، ١١٣ ص، ٢٠٧ ص، ١٧٥ صفحة

ثلاثة تضاف إلى مجموعة كبيرة ناهزت الثلاثين، أنشأها الأب إميل الحاجّ بأسلوبه الجميل الشائق، ولغته السلسة، وعمق تقواه. والكتيّب الأوّل سيرة الأب أنطوان شفريه (ت ١٨٧٩) مؤسّس حركة كنبة «البرادو»، وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبةً إلى المكان الذي بدأت فيه. والكتاب الصغير الثاني يروي حياة الأب شارل دي فوكو (ت ١٩١٦). وصول المحبّة في صمت صومعته بالصحراء الكبيرة. والكتيّب الثالث ترجمة التقديس برحّ الصليب، المتصوّف العظيم ومصلح القرائين في دير الكرمل.

وإنّنا، مع بالغ تقديرنا أسلوبَ المؤلّف الجليل، لا نرافقه في طريقة نقله الكثير من الأعلام الأجنبيّة إلى العربيّة. فلقد ترجم الأسماء الإسبانيّة إلى العربيّة على نحوٍ فيه الكثير من الاضطراب، تارةً ينقلها عن صيغتها الفرنسيّة وطورًا عن صيغتها الأصليّة وطورًا آخر عن

صيغتها المعهودة في العربيّة، ممّا يضيّع القارئ العاديّ، ويخدش حسّاسيّة مَن يلمّ بالأصول، ويفقد الكتاب بعضًا من حُسنه. فإنّك تقرأ في السطر الأوّل من الفصل الأوّل في كتاب المتقشّف السعيد أنّ هناك «مقاطعة كاستيلا Castille»، فترى أنّ المؤلّف صاغ اسم العلم من الفرنسيّة، في حين ينبغي اعتماد الأصل الإسبانيّ وهو «كاستيا Castilla»، أو الصيغة العربيّة المعهودة منذ أن كان العرب في الأندلس، وهي «قشتالة». وقال: «فالانسيا Valence» (ص ١٧) بدلًا من «بلنسية»، و«بونيفاس Boniface» (ص ٢١) بدلًا من «بونيفاثيو»، و«سالامنكا» (ص ٢٣) بدلًا من «سلمنقة». وقال «الأخ مانثيو Mancio» (ص ٢٦) ولا ندري علامَ استند، إذ يُلفظ الاسم بالإسبانيّة «مانثيو». وكتب «مدينة ألكالا Alcala» (ص ٤٨) ويا ليته فطن إلى أنّها «القلعة»، بحسب ما عُرِفت في الأندلس. وكان بوسعه أن ينقل دومًا على هذا المنوال لأنّه وُفّق في نقله كلمة Alcazar (ص ٦٣) بالصيغة السليمة «القصر»، وأحسن بتعريبه Guadalquivir (ص ١٠٩) بما عهده العرب: «الوادي الكبير»، في حين أخفق في تعريب Guadarrama (ص ٧٣) فقال: «غوادارّاما»!

أضف إلى ذلك أنّه لم ينقل حرف Z الواقع بين حرفين صائتين كما ينبغي أن يُنقل، فعرّب Mendoza بـ «مندوذا» (ص ٩٧)، والصواب «مندوثا». ولا ندري لماذا قال «الراهبة آنّ دي بينالوذا Anne de Penaloza» (ص ١٦٢) بدلًا من «آنا دي بينالوسا». وقد نقل اسم Anne مرّةً على النحو السابق، ومرّة أخرى بالصيغة العربيّة «حنّة» (ص ١٥٨). وكلّ ما أوردناه هو على سبيل المثال لا الحصر.

ثمّ إنّنا لا نوافق حضرة الكاتب على ترجمته اسم صاحب السيرة Jean de la Croix أو Juan de la Cruz فقد أسماه يوحنّا «الصليبيّ». أمّا نحن فنرى أنّ هذه الصيغة وإن كانت صحيحة من جهة النحو، إلّا أنّها تدعو إلى بعض الالتباس إذ يمكن أن توحي بأنّ القدّيس المذكور كان من الصليبيّين أصحاب الحملات المعروفة. فلِمَ لا ندعوه «يوحنّا الصليب» وحسب؟

ونودّ أن نشدّد في الختام على ضرورة تعريب الأعلام بطريقة صحيحة علميّة. فالسواد الأعظم من المترجمين، أكانوا من الأدباء أم من الصحفيّين، لا يولون هذا الأمر ما يستحقّه من الاهتمام، فتأتي نصوصهم مضطربةً سقيمة.

أ. كميل حشيمه

كُتُب أُهديَت مؤخّرًا إلى المجلّة

من منشورات دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٥:

- اتّخاذ القرار، بقلم الدكتور صموئيل حبيب، ٥٥صفحة. كتاب اجتماعيّ، نفسيّ، علميّ وعمليّ.
- صليب المسيح، بقلم جون ستوت، نقله إلى العربيّة نجيب جرجور، ٤٤١صفحة. محاولة جادّة للإجابة عن السؤال المصيريّ الدائم: لماذا الصليب؟ ويأتي الردّ مفصّلًا: إنّه انتصار المحبّة على الشرّ.

صدر عن دار المشرق

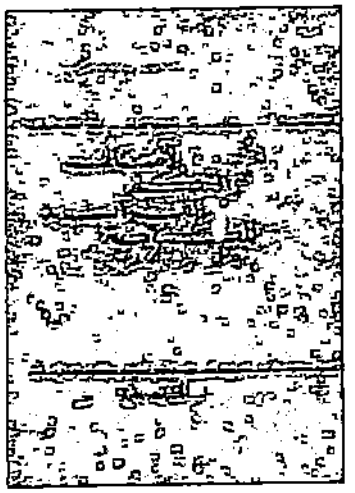

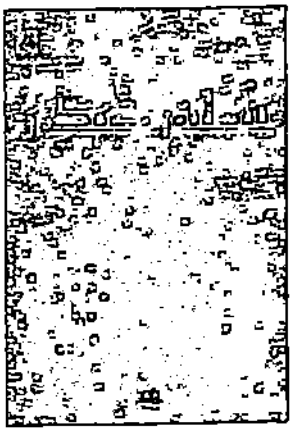

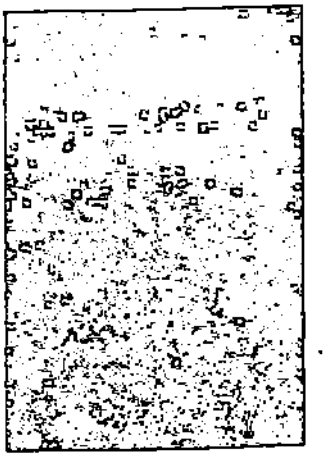

أعداد المشرق السابقة

ثمّة مجلّدات من المشرق متوفّرة منذ إعادة ظهور المجلّة، عام ١٩٩١ وحتّى اليوم، وأسعارها هي كالآتي:

١٩٩١	(المجلّد ٦٥)	–	٥١٨	صفحة	–	١٥ دولارًا
١٩٩٢	(المجلّد ٦٦)	–	٥٤٤	صفحة	–	١٤ دولارًا
١٩٩٣	(المجلّد ٦٧)	–	٥٦٠	صفحة	–	١٣ دولارًا
١٩٩٤	(المجلّد ٦٨)	–	٥٦٠	صفحة	–	١٢ دولارًا
١٩٩٥	(المجلّد ٦٩)	–	٥٢٠	صفحة	–	١١ دولارًا

وهناك مجلّدات قديمة متفرّقة منذ سنة التأسيس (١٨٩٨) وحتّى سنة ١٩٤٩.

Anciens volumes d'*al-Machriq*

Tous les volumes parus depuis la reprise d'*al-Machriq* sont disponibles aux prix suivants:

1991	(volume 65)	–	518	pages	–	15 dollars
1992	(volume 66)	–	544	pages	–	14 dollars
1993	(volume 67)	–	560	pages	–	13 dollars
1994	(volume 68)	–	560	pages	–	12 dollars
1995	(volume 69)	–	520	pages	–	11 dollars

D'autre volumes, plus anciens (entre les années 1898 et 1949) sont également en vente auprès de l'administration de la revue.